بسم الله الرحمن الرحيم

## المشورة-38-

## الخطة العملية -5-

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمَّد، وآله وصحبه أجمعين.

أعود إلى موضوعنا الذي توقفنا عنده البارحة موضوع المساجد؛ لأجل أنْ أركّز على الجانب الرّوحاني في هذا الموضوع، قلتُ: المسجد الحرام بذرة تُعبِّر عن تجسيد توحيد الله جلّ في علاه والإيمان به، وهذه البذرة نشأت قواعدها في الأرض، ثمَّ تشرفتْ هذه القواعد بأنْ رفعها سيّدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والتسليم، مع سيّدنا إسماعيل عليه السلام، ثمَّ هذه القواعد إنْ رأيناها في عالم المعاني، وجدناها ارتقتْ وسمَتْ وتفرَّعتْ غُصونها في بقاع الأرض، ففي شريعة الإسلام لا احترام للمساجد إنْ لم تكن قِبْلَتُها إلى المسجد الحرام، فهذا الارتباط -لاحظوا أبنائي هذا الارتباط- الذي دائما أذكّر نفسي وأذكّر حضراتكم، وأذكّر المسلمين والمسلمات بضرورة الالتفات إليه، هذا الارتباط في كلّ شيء، سنّة الله جلّ وعلا، الارتباط.

لا أريد أنْ أدخل كما ذكرتُ في الروايات والغيبيات، ولكن من حيث التذوّق، هذه البذرة للبيت الحرام: هل نزلت مع سيّدنا آدم عليه الصلاة والتسليم ووُضِعتْ واستقرت في الأرض؟ فيمكن لأهل الذوق أنْ يتذوّقوا هذه المسألة،

ويقولوا: نعم، وهنا يأتي الرّبط بين الروايات بأنّ الحجر الأسود من حجر الجنّة، نزل مع سيّدنا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

ففي عالم المعاني الربط بين معالم الروح ضروريّ جدًّا، والالتفات إلى هذا الرّبط دون إلزام النّاس بالإيمان به، ولكن تثقيف النّاس عليه أمر ضروريّ، وهو صفحة من صفحات العمل الرّوحي الإسلامي، ونحن دائمًا نبحث عن الجذور الطيّبة المباركة التي نستنِد إليها، ننبع منها -إذا صحّ التعبير- فحتى الجانب المادي في حضارتنا الإسلامية مستندٌ إلى الجانب الروحاني، فالحجر من الجنّة، وسيّدنا آدم من الجنّة، وذِكْرُ الله تبارك اسمه من الجنّة.

فلاحظوا الرّبط الرّوحاني الجميل لهذه المعاني الرَّاقية، التي يجب على العقلاء وعلى أهل الذوق، وعلى مَنْ يسيرون إلى الله جلّ وعلا بصدق وإخلاص، يجب عليهم أنْ يَتَلَمّسوها ويقتربوا منها ويتفهموها ويتفاعلوا معها.

فلاحظوا المسجد: أنْت تبنيه في "أبي غريب" [مدينة غرب بغداد] وآخر يبنيه في الصين، وآخر يبنيه في روسيا، وآخر يبنيه فيما وراء النهر، في أيّ بقعة من بقاع الأرض -هذا المسجد إنْ لم يرتبط بالمسجد الحرام فلا حُرمة له في الإسلام، ما يعدّ مسجدًا، فلذلك نرى أنَّ الذين يبنون المساجد من أوّل يوم إلى يومنا هذا يدقِّقُون ويحقِّقُون في اتجاه القبلة، ولولا فضل الله تبارك وتعالى علينا لوَقَعْنا في حرج، ما هو فضله؟ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرنا أنْ نولّي وجوهنا شطرَ المسجد الحرام، وليس إلى عَيْن المسجد الحرام لمَنْ كانوا في مَبْعَدَةٍ عن المسجد الحرام، فهذه رحمة من الله عزَّ وجلَّ درجات قليلة مسموح بها، ولكن أنْ تتعمّد وتقلِب الوجهة، وتنصب المحراب إلى غير المسجد الحرام فهذا قولًا واحدًا

الصـــلاة باطلة بهذا الشـــكل، وهذا المســـجد لا حُرمة له، ولا تقومُ ولا ترتبط الأحكام المتعلّقة بالمساجد بهذه البناية، ولا يمكن أنّ نسمّيها مسجدًا، لماذا؟ لأنَّه ليس عنده ارتباط، طيّب ما هذا الارتباط؟ لا، هذا الارتباط عميق، تصِل جذوره إلى الجنّة، فيرتبط بالمسجد الحرام، المسجد الحرام فيه الحجر الأسعد، والحجر الأسـعد من الجنّة، وهكذا، عندما يَسـتقبل المسـجد الحرام يتمثّل ويتصـوّر هذه المعاني، فيزداد خشـــوعًا، ويفتح قناة روحانية على قلبه يتغذّى بإذن الله تبارك وتعالى من خلالها، من خلال هذه القناة ببركات ربّ الأرض والسماء سبحانه.

طيّب، سيّدنا آدم من الجنّة، إذن أصل البشرية من الجنّة، فيا أيّها البشر! اعرِفوا أصـــلكم، اعرفوا داركم، دار المقرّ، فإنَّ الدنيا دار ممرّ، وإنَّ الآخرة هي دار المقرّ، فخذوا من دار ممرّكم إلى دار مقرّكم، ولا تهتكوا أســـتاركم عند مَنْ لا تخفى عليه أسراركم عزّ شأنه، وهذا يُقال أنّه هو قول لسيّدنا الإمام علي رضـي الله تعالى عنه، وعن جميع أهل بيت سيّدنا رسول الله صلى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه.

إذنْ: هذا الارتباط بكلّ شيء في الثقافة الروحية، ينبغي أنْ نبحث عنه ونتفهّمه، والأهمّ، الأهمّ، الأهمّ ثلاث مرّات أكرِّر التفاعل معه، وتطبيق هذا التفاعل، وهذا من الإيمان بالغيب، وهذا من الإيمان بالغيب طبعًا، لأنّي آمنتُ بالغيب عندما اعتقدْتُ أنَّ الحجر الأسود من الجنّة، فالجنّة غيب، ودائمًا الأمور الغيبية جانب الخفاء فيها، في الأمور الغيبية، جانب الخفاء فيها واضح، وإلّا فلا يسمّى غيبًا.

لذلك رَبّ العالمين مثلًا حينما ذكر لنا قصّـــة الملأ من بني إســـرائيل، عندما اقترحوا على نبيّ لهم أنْ يبعثَ لهم ملِكًا حتّى يقاتلوا في ســـبيل الله عزَّ وجلَّ، هذه القصّـة أعتقد مرّة خادمكم في محاضـرة من المحاضـرات وجّهكم، قال: يا ليت لو تدرسـونها وتنظرون الفقه، فيها مسـائل كثيرة، في هذه القصّـة الكريمة المباركة، فيها جوانب غيبية، منها مثلًا: أنّ الله جلّ وعلا قال من ضمن محاور هذه القصّة قال سبحانه بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَـــكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَـــى وَآلُ هَـارُونَ تَحْمِلُـهُ الْمَلَائِكَـةُ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [سورة البقرة: 248].

فلاحظوا يا رعاكم الله -عزَّ وجلَّ- يا أبنائي الكرام، ويا مَنْ سوف تستمعون لهذا الكلام، لاحظوا إلى تذييل الآية {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إذا أنتم مؤمنون تصـــدّقون، وهذه صـــفحة غيبية، فيها جوانب غيبية كثيرة، {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ} هذا الملك الذي اصطفاه الله عزَّ وجلَّ، لكم وأنتم معترضون مع أنّكم أنتم طلبتم، أو بعضـــكم معترض، هذا المُلْكُ عنده علامة، ما هي العلامة؟ العلامة هي التابوت، وأين التابوت؟ في ذلك الوقت التابوت في الغيب، لأنّهم ضـــيّعوه، فتاهوا في الأرض، وما معنى هذا التابوت؟ الذي يسـتقرّ عليه قلب خادمكم: أنّه التابوت الذي وضَعتْ أمّ موسى رضي الله تعالى عنها وعليه السلام وَضعتْ سيّدنا موسى فيه عندما أمرها الله عزَّ وجلَّ أنْ تقذفه في اليمّ، فأتتْ بصندوق، وهو هذا يسمّى تابوتًا، فوضعت فيه الرضيع سيّدنا موسى عليه الصلاة والتسليم وألقته في اليمّ، في البحر، انظروا الارتباط، انظروا، بعد ذلك بقي ســـبحان الله

العظيم، كتب الله عزَّ وجلَّ له الخلود؛ لأنّ هذه آية من آيات الله عزَّ شأنه لا بُدَّ أنْ تبقى صورة من صور الخلود في آيات الله جلّ وعلا ولو بشكل رمز بسيط، والآن انظروا الخلود! نحن نقرؤها في القرآن الكريم، فهي ذكرى خالدة، حتَّى التابوت غير موجود الآن طبعًا، ولكن صارت ذكرى خالدة، أين هو الآن؟ لا ندري، في الغيب، وكان بنو إسرائيل يستنصرون على أعدائهم بهذا التابوت.

وهنا توجيه لإخواننا المسلمين والمسلمات الذين دائمًا مع الأسف عقولهم لا تستطيع أنْ تستوعب موضوع البركة والتبرّك بآثار الصَّالحين، نرجو لهم أنْ يهتدوا بهدايات هذه الآية الكريمة.

فربُّ العالمين سبحانه يذكر أنّه بقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون، تأتي روايات تقول: هذا التابوت كان فيه عصا سيّدنا موسى عليه السلام لأنّ العصا معجزة أيضًا، صورة من صور المعجزة، صورة من صور الآية، أيضًا لا بُدَّ أنْ ينالها الخلود، نوع من الخلود؛ وفيها عِمامة سيّدنا موسى، وسيّدنا هارون، جلبابه، فهذه الآثار القرآن الكريم يخلّدها، ويعدّها آية من آيات الله عزَّ وجلَّ، فهل يصحّ لك يا سعد الله أنْ تُنكر هذه الأمور؟!.

انظر إلى آخر الآية يا سعد الله، الله عزَّ وجلَّ يقول لكم {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فاحذر وانتبه على إيمانك يا سعد الله عندما تأتي وتنكر أشياء بغير علم، بشيء تزيّنه النفس الأمّارة بالسوء نعوذ بالله تبارك وتعالى، أو بما يوحي الشياطين بعضهم إلى بعض، شياطين الجنّ والإنس نعوذ بالله تبارك وتعالى، وأنْ تستهويك على أساس أنْ تحافظ على جانب التوحيد، وتخاف على التوحيد، تخاف أنْ تصير مشركًا، كيف هذا التابوت فيه بركة وفيه سكينة، لا، ربُّك

يقول: فيه سكينة {فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ}، والسكينة قاعدة كليّة لكلّ الجزئيات التي فيها بركة، عندما تسمع "سَكِيْنَة" فأطلق العنان لمخيّلتك، السكينة تعني البركة، السكينة تعني قبول الدعاء، السكينة تعني نصر من الله جلّ في علاه، تعني زوال الرّعب من قلبك، السكينة معناها أنَّ الطمأنينة تنزل في قلبك فتستقر أمام أعدائك، ومنهم النفس الأمّارة بالسوء.

فلاحظوا الخطّين المتوازيين، الله تبارك وتعالى ذكرهما في التابوت: السَّكينة، والآثار المادّيّة: {وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ}.

فعندما نتحدّث عن المسجد الحرام، عندما نتحدّث بعد ذلك عن المساجد التي هي مساجد متوجّهة إلى المسجد الحرام، يا أمّة الإسلام! إنّما نُؤكِّد على هذين المسارين الواضحين، على هذين الرّكنين الجليَّين، ركن المادّة وركن الرّوح، فحينما تأتي إلى المسجد، هذه بناية، هذه صورة مادّية، ولكن ماذا تجسّد؟ تجسّد الجانب المادّي الخالد، الذي أثرُه الروح.

فلذلك دائمًا خادمكم يقول: لا يوجد في الإسلام ما يُسمّى بالجانب الروحاني والجانب الآخر، فالكلّ هو رُوحاني، الشّريعة عقيدة وأحكامًا عمليّة روحانية، حتّى الوضوء: أنت تأخذ الماء، الماء مادة، والأعضاء مادّية مخلوقة من تراب الأرض إلى آخره، ولكن لولا النيّة، هل لهذا الوضوء قيمة عند ربّ البرية جلّ جلاله؟ هل هناك قيمة لأي عمل ماديّ تقوم فيه لولا النيّة؟ الزكاة: تُخرج نقودًا وتعطي، وهي مادة، مادّة في مادة، إذا ما فيها نيّة أتقبل عند الله عزَّ وجلَّ؟ لا، النصوص واضحة في موضوع النيّة وإخلاصها.

طيّب إذنْ هنا "التابوت" الله تبارك اسمه بيّنَ أنّ اصطفاء هذا المَّلِك من قبل الله عزَّ وجلَّ يحتاج إلى علامة لهؤلاء النّاس، فالعلامة هي أنْ يأتيهم التابوت، لأنّ التابوت إلى الآن غيب، لا يدرون أين ضيّعوه، وسيأتي التابوت بصورة غيبيّة، اسمع إلى قوله تعالى: {تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ} والملائكة غيب، أيضًا لا يستطيعون رؤية الملائكة، فتخيّلوا، الجماعة جالسون، وإذا بالتابوت يأتي طائرًا بالهواء! سبحان الله، الملائكة تحمل التابوت، وهم لا يرون الملائكة، ولكن يرون التابوت، فستكون هذه آية، ستكون معجزة.

فإذنْ هذا الجانب، وهذا العمق الرّوحي يجب على الدعاة الذين يريدون أنْ يتشرّفوا بمسيرة التجديد أنْ يؤمنوا بهذا الجانب، وأنْ يتفاعلوا مع هذا الجانب، ثمّ يدعوا النّاس إليه؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، إذا أنت يا سعد الله لا تؤمن بهذه القيم الروحية القرآنية النبويّة الشريفة المباركة فكيف تجعل الآخرين يؤمنون بها؟ لا يمكن، ففاقد الشيء لا يعطيه؛ لذلك كانوا حاملين لخمس آيات من القرآن الكريم، وآيات قصيرة جدًّا، النّاس ينظرون لها ما هذه؟ كلمات بسيطة، أستغفر الله أنقل كلام بعض النّاس، ربما هكذا يتصوَّرونها، ولكن هذه الآيات فيها روح، فيها قيمة روحية، فيها تفاعل عجيب وغريب، فيها ارتباط، فيها خيْرَات وبركات، فلذلك كانوا يحملون هذه الآيات، ويخرجون النّاس بها من الظلمات إلى النّور بإذن ربّهم العزيز الغفور جلَّ جلاله وعمَّ نواله.

فإذنْ لا بُدَّ دائما أنْ نُركّز، أنْ نبحث عن الخيط الرّوحاني؛ حتّى في الأبنية، حتى في الأمور الجسمانية، حتى في الجسد، بأيِّ شيء تعبّر عنها عبِّرْ، لذلك الأشياء تُقيَّم، حتى في ثقافات النّاس العاديّين تُقيّم بمعانيها وليس بمبانيها، وخيرُ

أنيسٍ في العلوم مثالُ، وروحي فداك يا سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحك وذكرك وثراك، إذ أتيت لنا بهذه القاعدة الجميلة:-

"وَخَيْرُ أَنِيْسٍ فِي العُلُوْمِ مِثَالُ"

الآن تسمع، أو واحد يسمع: ماذا يعني أنّ أصول التعامل بين النّاس تؤكّد على معانيها وليس على مبانيها دائمًا؟

مثلًا الهدية، الهدية هي تعبير عن احترامك للمقابل، والله لو تأخذ وردة، وردة من حديقة الشارع، أو من حديقة الجامع، وردة! وتذهب وتقدّمها لزوجتك، ما هي هذه الوردة؟ هي موجودة في الشوارع! ليس لها قيمة، قيمتها المادية، حتى لو لها قيمة فكم تكون؟ ربع دينار عراقي مثلًا؟ وأين يوجد ربع دينار عراقي الآن؟ (250) دينارًا عراقيًّا، أو (500) دينار عراقي، لا أعرف يعني وحدات العملة الآن، نسأل الله واسألوا الله عزَّ وجلَّ مع خادمكم بقلوبكم أنْ يُعِزَّ الدينار العراقي، ودينار المسلمين، إنَّ ربّنا سبحانه وتعالى قدير، وهو على ما يشاء قدير جلَّ جلاله وعمَّ نواله.

طيّب أنتَ تأخذ هذه الوردة، وتذهب لزوجتك وبكلّ محبّة واحترام قدَّمتَ لها هذه الوردة، فكم ستُكبر وتُقدّر هذه الوردة، وهي ما لها قيمة مادية، قيمتها ماذا؟ قيمتها في مبناها أم معناها؟ لا، معناها، أمّا المبنى فما لها قيمة.

وشخص آخر ذهب وأخذ طقمًا ذهبًا لا أعرف بكم مليون، وذهب ودخل لزوجته: خذي أحضرت لك ذهبًا، كأنّه يقول لها من وراء نفسه! لا أتصوّر أنّها

ســـتتأثّر بهذه الهدية أو بهذا العطاء كما تأثرتْ الأولى بالوردة، أينَ المَبنى بين طقم الذهب وبين وردة؟! لا يوجد قياس نهائيًّا، ولا نسبة.

فإذنْ ســـعد الله يوصـــي نفســـه الخاطئة المذنبة أنْ تبحث عن المباني أم عن المعاني؟ لا، عن المعاني، مع عدم الإغفال عن المباني؛ لأنّ حضـــارة الإســـلام حضـارة متكاملة، فلذلك جاءت قضيّة طهارة المساجد وترتيبها، وسارتْ الأمّة في الحفاظ عليها والعناية بها، وهذا ليس فيه شـــيء إذا ما كان هنالك إســـراف، يعني لا يأتي أحد يقول: أتبنون بالإســمنت المســلح أم بالطين، أيّهما أحســن؟ يا أخي الكريم صيغة الحياة الآن تغيّرتْ، هل تعلم أنّ البناء بالطين يكلّف أكثر من البناء بالمســـلح؟ اذهبوا ادرســـوها وانظروا، فالآن مِن أين آتي بعمّال يعرفون صـــناعة اللّبِن؟ من أين آتي بعمّال يعرفون البناء بالطين؟ وبعد ذلك عندما يقع الطين وأردت صيانته فأيّهما أسهل؟ أنْ أحصل على عمّال ومهندسين يعملون بالإسمنت والتسليح، وربّما الآن الأمور تغيّرت، الآن تقريبًا البشرية تنحو نحو موادّ أخرى، أم بالطين؟ أيُّهما أكثر؟

أو يأتي واحد ويقول لك: لِمَ لا تركبون ســـيّارات قديمة؟ لمَ تركبون الســـيارات الجديدة؟ يا أخي الكريم والله الســـيّارة القديمة مُكلِفَة أكثر من الســـيّارة الجديدة؟ وهذا ليس تكبّرًا، هذا تَحَدُثٌ بنعمة الله عزَّ وجلَّ وانسياق مع إرادة الله جلّ شأنه، فلكلّ عصـــر وأوان حاجاته وسِـــماته ومظاهره، فأنتَ لا تقدر في هذا الوقت الســـيّارات كلّها مكيّفة، وخيرٌ من الله، وتذهب وتركب ســـيّارة مصـــنوعة ســـنة (1950م)، وكلّ فترة تقف بك، وأرهقت قلبك، والجوّ حارّ والعرق يصبّ منك، آلله يرضى لك هذا الشيء؟ هل هذا تواضع؟ لا، هذا تخلّف.

كان عندي موظف في البحرين الله تعالى يذكره بالخير عنده سـيّارة قديمة، في يوم جاء يعطيني نسـتلة، قال: هذه هدية، قلت له: خيراً؟ قال: تخلّصـت من هذه البليّة، والله أريد أنْ أقدّم هدية لكلّ الموظفين، قلت لـه: لماذا؟ قال: ذلك اليوم توقّف فيها "فيت بم" (مضـــخة وقود) فذهبت أبحث عنه، قالوا: هذه لا بُدَّ أنْ تطلبها من الشـركة الأصـلية، فطلبتها، فقالوا لي: أتدري كم تكلّفك؟ مبلغ كبير بالدولار، وأنا لو يعطونني ثلث هذا المبلغ مقابل السـيّارة فسـأبيعها كلّها! كلّها أبيعها بثلث هذه القيمة.

طيّب إذا "فيت بم" يكلّف أكثر من سعر السيّارة بثلاثة أضعاف! فقلت له: والله حقّ كأنْ تُحضر نستلة وتأتي، قال: إيْ والله، الحمد لله، بعتها وتخلّصتُ منها!

المقصـود يا أبنائي: يجب على المسـلم وعلى المسـلمة أنْ يُكمّلا شـخصـيتهما، أصل الشخصية الرّوحانية، والمظاهر تنساق مع ما يُيسّر الله تبارك اسمه من مظاهر حضارية، ولذلك ترون أنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر بالأصول، وترك الكيفيّات، لمَ ترك الكيفيّات؟ لأنّ هذه رسـالة خالدة إلى قيام السـاعة، الله تعالى أعلم متى عِلْمُها، عِلْمُها عند الله عزَّ وجلَّ متى تقوم؟ علمها عند الله عزَّ وجلَّ كم حضـارة ستقوم وتسقط؟ كم تطوّرًا سيصير؟ مَنْ كان يعتقِد قبل مائتي سنة أنْ يطير على حديدة في جوِّ السماء؟ لا أحد كان يعتقد هذه العقيدة؟ ولو حدَّثه أحد بها يقول له: أنت مجنون!

فلا تعلم ماذا يُحدِثُ الله عزَّ وجلَّ، فلمْ يكلِّفكَ الإسـلام بأنْ تبقى على نمطٍ واحد، وهذا أصـله أنَّ خير الأنام عليه الصـلاة السـلام وآله وصـحبه الكرام، ونحن نتحدّث عن المساجد كان يخطب إلى جذع نخلة، أي يقِف على الأرض والنخلة

بجانبه، جذع النخلة، وهذا في الصِّـحاح، فقيلَ له عليه الصـلاة والتسـليم وآله وصـحبه الميامين: إنّه يوجد قُدرات بدأت في الأمّة، معنى هذا الكلام هكذا خادمكم يفهمه أنّ هناك إمكانات موجودة في الأمّة، ما هذه الإمكانات؟ مثلًا: عندنا نجّار وافد من إحدى القبائل، نجّار جيّد ويعرف صنع أشياء، وكذا، فلِمَ لا نصـنع لك شـيئًا ترقى عليه للخطبة؟ أقال لهم: لا هذا لا يمكن؟ لا، بل علّمهم استثمار الطاقات، قال: نعم، فصُنِعَ المنبر لسيّد البشر صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم وحصل ما حصل من حنين الجذع لفراق الحبيب صلَّى الله تعالى وسـلّم عليه وآله وصـحبه أهل الطيب، ومع أنّه رحمة ولكنّه ما وقّف سـيْر الموكب الحضاري، ما قال للجذع: ارفعوا المنبر وأنا سأبقى عند هذا المسكين الذي فارقته، وبكى علَيَّ! لا، بل احتضـنه، وأعطاه حقّه صـلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، بأبي وأمّي ونفسي أنت يا حبيبي يا رسول الله، ولكنّه ترك مسار الحضارة يسير ماشيًا، صار المنبر، وصارت المنابر، وإلى آخره.

إذنْ يجب أنْ ننظر إلى الجانب الغيبي في كلِّ شيء، أنتَ الآن جَسَد، هذا جانب مادي، لكن هل هذا الجسد هو حقيقتكَ؟ لا، حقيقتُكَ روحك، هذا الجسد ثوب كما ذكرتُ لكم في محاضرة سابقة، وكيف رأيت هذا الثوب كما قال سيّدي حضرة الشـيخ عبد الله طيّبَ الله تعالى روحه وذكره وثراه: سـتراه يومًا كأنّه ثوب بالٍ ملقًى على الأرض، وهذه كرامة لسيّدِيْ حَضْـرَة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، فقَد رأيته قبل الأوان، رأيت الجسـد ثوبًا، كأنَّه ثوب بالٍ ملقى على الأرض، أي على السـرير، وهو (سـرير العملية) على الأرض،

ســـرير العملية أو ماذا يســـمّونه، طبلة العملية! وعذرًا أيّها الأطباء، أعذرونا. فرأيته، فهذه كرامة؛ لأنّه قال لي:

ستراه يومًا، فرأيته يومًا، و100% أعلم أنّه كان يَعِظُني، ويذكّرُني بيوم الموت، كأنّه يقول: يوم تموت ســـتراه ثوبًا باليًا ملقى على الأرض، ولكن الله تبارك وتعالى أراد أنْ يُكْرِم هذا الوليّ الكبير والعالمَ الجليل ماذا نقول بحقك يا ســيّدي يا حضــرة الشــيخ عبد الله فنحن مقصِّــرُون، فســامحنا يا ســيّدي، نقبّل أقدامكم الشريفة.

فتلاحظون المحطّات الخمســـة متداخلة حقيقة، يؤثّر بعضـــها في بعض، فالفرد هو الأصل، البذرة، وهو لَبِنَة في الأسرة، ومفروض أنَّ الأُسَرَ يكون لهم ارتباط في المســاجد، المســاجد في كلّ موطن تحلّ فيه، كما ســأبيّن إنْ شــاء الله تعالى، قلتُ هذه متداخلة، ويؤثّر بعضها في بعض، فالفرد هو الأصل، ثمَّ الفرد لبِنَة في الأسرة، والأُسر هي التي تعمِّر بيوت الله سبحانه، المساجد، وصارَ الحَديثُ عن الفرد وعن الأسـرة وعن المسـاجد، ويَأتي الكلام عن الموطن أيْنَ ما حللتَ، هذا ما أعنيه بالموطن، ســـواء أكان في العراق، أم في الإمارات، ســـواء أكان في عمّان، أم في البحرين، أم في الســـعودية، أو في أيّ مكان، في الصـــين، في أمريكا، في أيّ مكان.

فحينما تكون هنالك أُسَـر، ويكون هنالك فرد، يجب عليه أنْ يفكّر في المســجد، ومِنْ هنا الارتباط في المســـجد كما ذكرتُ، الحبيب صـــلّى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلّم، في مكَّة المكرّمة مرتبط بالمسـجد، فعِندما هاجر كان أينما حلّ أنشأ المسجد.

حتّى ترون بعد هذه المراحل التي اخترناها، وتشرّفنا بها من سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، فبعد قيام دار الإسلام مثلًا يقول لك: المساجد السبعة، فما هذه المساجد السبْعة؟ السلف يريدون أَنْ يعلِّمونا وبموافقة الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، لأنّ هذه المساجد السبعة ترتبط بغزوة الأحزاب، فأيْنَما جلسوا أنشأوا مسجدًا، بل أكثر من هذا، ما هو أكثر من هذا؟ أنّ الإسلام وجّه من خلال خلجات القلوب المؤمنة الطيّبة المباركة الموصولة بالله تبارك جلّ في علاه من خلال سيّدنا رسول الله صلَّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، أنّ بيت الشخص، وبيت الأسرة يُسْتَحَبْ أنْ يكون فيه موضع خاصّ للمصلّى، فلذلك هذا الصحابيّ الجليل جاء إلى الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وقال:-

شرّفني إلى البيت، أريد أنْ تصلّي في موضع فيه اتخذه مسجدًا، يا الله! لأنّ المسجد في حياة الأمّة مهم، أنظر داخل في البيوت! داخل في بيوتنا المسجد! فليهتدِ الذي يتعامل مع المساجد، فلتهتدِ المؤسسات التي تُعنى بالمساجد، فليهتدِ النّاس الذين هم أصحاب قرار، قرارهم له تعلّق بالمساجد، فلينتبهوا لهذا الفقه، هذا الفقه لا يوجد إلّا عند الرَّبَّانيين، هذا الفقه للشريعة لا يوجد إلّا عند الموصولين بحضرة سيّد المرسلين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين.

إذنْ هنا ندخل إلى المحطة الرابعة:-

المحطة الرابعة: البلد: أيْ المكان الذي تقيم فيه أيُّها الدَّاعي، ينبغي أنْ تكون قمَرًا منيرًا في البلد الذي تقيم فيه، إنْ لم تستطع أنْ تكون شمسًا مشرقة فلتكن على الأقل قمرًا مضيئًا منيرًا، أو نجمًا ساطعًا.

فهنا ماذا يُراد منك؟ يُراد منك أنْ ترجع إلى المرحلة الأولى في حياة الحبيب صلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم

(وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ... وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

إذن أنْتَ في الموطن يشار إليك يا سعد الله أنّ هذا الرَّجل جاء هنا ما شاء الله له تأثير، وعلاقات وصداقات، واحترام وتقدير، وتوجيه وتعاون ومشاركة.

طيّب: البلد الذي تقيم فيه، فيه إمكانات، وفيه قابليات، وفيه شخصيات، فحاول أنْ تستثمر الإمكانات الموجودة، حاول أنْ تقترِب من الشخصيّات، ولكن من دون احتراق، احذر، لا تتركهم، ولكن لا تدخل معهم بشكل تحترق فيه نعوذ بالله تبارك وتعالى، لا، أنْتَ اعمل لله عزَّ وجلَّ والتزم بكلّ الآداب، وأنْزِل النّاس منازلهم، ونيّتُكَ خالصة لله جلّ وعلا فليتحدَّثِ المتحدّثون، لا أحدَ يسلم أبدًا، هذا أصل قائم وواضح وبيّن، إنْ كان الله عزَّ وجلَّ بعليائه وبعظمته وبكبريائه ما سلم من هذا المخلوق المسكين الذي هو الإنسان، فكيف أنتَ تنجو منه؟! أنت صاحب رسالة، عليك أنْ تؤدّي الرِّسالة.

مثلًا شيخ عشيرة -لا قدَّرَ الله تعالى- مسرف على نفسه، مشهور في المنطقة بالفسق والفجور، ويوجد هكذا أناس، وهكذا شخصيّات، وأنتَ تقول:-

إذا ذهبت إليه وسلَّمْت عليه أو بأيِّ شكل من الأشكال تعاملت معه فسأحترق! نعم، إنْ كنت تحترق فإيّاك، وإيّاك، وإيّاك أنْ تقترب، ولكن لو وجدْتَ فرصة تنجو فيها فاقترب، وانظروا لهذا الرجل الصالح في التاريخ الإسلامي، ولا

أريد أنْ أسند هذه القصص لأصحابها أو لأزمانها؛ لأنّ المصادر مختلفة، ونحن غالبًا القرآن الكريم يؤدّبنا في القِصّـــة بأنْ نأخذ فحواها ومعناها، أمَّا الأمور الأخرى التي تتعلَّق بمبنى القصّة فهي غير ضرورية جدًّا في كلّ الحالات فهذا رجل صـــالح في بلد، والبلد فيه قصـــر، والقصـــر فيه ثريٌّ من الأثرياء، وربّما رئيس عشـيرة، إلى آخره، أيّ رجل له مكانة، لكنّه مسـرف على نفســه، يوميًّا حفلة حمراء في القصر ورقص، وإلى آخره، فهذا رجل صالح، ماذا عمل؟ جاء وطرق الباب، وأهل القصـــر في مجونهم، فخرَجَتْ الخادمة (الجارية) فســـلّم عليها، وســـألها ســـؤالًا، لكن انظروا هنا، دائمًا نبحثُ عن العمق، فهذا رجل صالح، وهذه خادمة، خرجت وهي جارية، ويقال أنّ الجواري دائمًا يختارونهنّ من أجمل فتيات الدّنيا، ويغنّين، وكذا، وكذا إلى آخره في بعض البيوتات، وخاصّة نحن نتحدّث عن قصر فيه فجور ومجون فما تمازح معها، ولا انساق معها نعوذ بالله، هو صاحب رسالة، بكلّ أدب، وبكلّ حضور قلب سألها سؤالًا، قال:-

صاحب هذا القصر حرٌّ أم عبدٌ؟ فضحكت عليه، وربّما تعدَّت عليه بالكلام! ألا تعرف مَنْ صاحب القصر؟! ألستَ من هذا البلد؟! هل أتيتَ من القمر! هذا سيّد الأحرار، قال: نعم صحيح، لو كان عبدًا ما فعل هذا.

الله! هو يرى نفسه حرًّا، وذهب الرجل، انظروا: هذا الاختراق من دون احتراق أبدًا، وخادمكم الآن يروي القصّـــة من ناحية ذوقية، من ناحية روحية، لا عليَّ بما تقول المصـــادر الله تعالى أعلم فتاة وضـــيئة، جارية وضـــيئة، لأنّهم كانوا يختارونهن هكذا، وكان الوقت ليلًا، وخرجت من قصـــر مجون وفجور، يا

سلام! لو كان هذا الآن نعوذ بالله تبارك وتعالى أحد أهل الأهواء والنفوس لظلَّ واقفًا معها عند الباب، ويلاطفها ويمازحها، ونسي رسالته، واحترق وصار رمادًا وسوادًا وهو لا يعلم -نعوذ بالله سبحانه- لكن أهل القلوب غير، هذا ابتلاء، ما رفع بصرَه عليها، وأدّى رسالته من غير غفلة، وكأنّي به وهو يرابط مع مرشده ذاكرًا ربّه جلّ وعلا، وكأنّي به يدعو في قلبه، يقول: يا ربِّي كما فرَّحته في الدُّنيا وأعطيته القصر وأعطيته هذا الملك، الطُفْ به، يا ربِّي تبْ عليه، يا رَبِّي وجِّهه إليك، يا رَبِّي مسكين هذا أخي الإنسان، انظروا العمق، وإذا بالكلمات لأنّها الروح التي تحلّ في الجسد كما كان سيّدنا آدم عليه السلام ملقى على البقعة التي اختارها الله عزَّ وجلَّ لخلقه فيها، طوله ستون ذراعًا، وعرضه سبعة أذرع، تمثال عملاق، ما أعظم هذا التمثال، ما فيه لا حراك ولا أيّ شيء، ولكنَّ هذا العملاق، وهذا التمثال، تخيّلوا، ستون ذراعًا، يساوي تقريبًا سبعة وثلاثين مترًا؛ وعرضه سبعة أذرع، أي خمسة أمتار تقريبًا، فتخيّل جسمًا إنسانيًّا طوله سبعة وثلاثون مترًا، وعرضه خمسة أمتار، فكأنّه عمارة، فما الذي يحرّك هذه العمارة؟! ولكن بمجرّد أنْ نُفختْ فيه الروح انظر: الروح مباشرة أنشأه الله جلّ ذكره خلقًا آخر، فإذا بالصلصال كالفخّار ينقلب إلى جلد وشحم ودم وعظام، وإذا بهذه الجثّة التي هي تمثال، بمجرّد أنْ بدأت تنهض وتتحرّك، وتقوم وتنشط، وتتكلّم وتردّ وتسمع، يا سبحان الله! انظروا الروح.

فهذه الكلمات كافية، لأنّها روح هل هو حرٌ أم عبدٌ؟ لكن فيها روح، وذهبت الجارية ودخلت وهي تضحك، وتستهزئ بالرجل، والرجل ذهب في حال سبيله متلذّذًا بذكر ربّه، شاكرًا ربّه سبحانه لأنَّه أدَّى رسالة ممّا يُرضي ربّه جلّ وعلا

فكان داعيًا إلى الله عزَّ وجلَّ ثبَّتَه الله تبارك اســـمه نجَح بالابتلاء والاختبار، ودخلت الجارية، لكن الرّجل هذا الغافل عن نفســـه الذي كان بالفجور بدأ يشـــمُّ شـيئًا عند الجارية، في الغالب لا يسـألون: مَنْ طرق الباب؟ فما شـأنهم بالباب! هم قاعدون بأنسهم، ولكنّه سأل هذه المرأة، فقالت:- رجلٌ مجنون.

انظر: إذن يمكن أنْ يقال لك: مجنون، وهذه لها أصـــل أم لا؟ لها أصـــل، لأنّها قيلت للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم:-

{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} [سورة الحجر: 6]

صلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

فلا تغضب يا سعد الله إذا قالوا لك مجنون، لا، تشرَّف بها، اشكُر الله عزَّ وجلَّ عليها؛ لأنّها تربطك بحالة لحبيبك عليه الصـلاة والسـلام وآله وصـحبه الكرام، فالحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، وما غضب ولا تنكّر لهم، ولا جيّش الجيوش لمقاتلتهم على هذه الكلمة، لا، لطف بهم، وقال:-

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون) الإمام الطبراني رحمه الله عزّ وجلّ.

فظلّ يكرّر عليها (صـــاحب القصـــر): ماذا قال هذا المجنون؟ في صـــرخات وضحكات، وفي مجون الشرب والرقصات، قالت:-

ســـألني عنكَ: هل أنتَ حرٌّ أم عبدٌ؟ يا الله! انظر: كلمات فيها روح، لامســـت شـــغاف قلبه، فانتفض، وقام وخرج حافيًا، نســـى أنْ يلبس حذاء -أكرمكم الله- وطار يبحث عن هذا الرجل الذي وُصِفَ بأنَّه مجنون، فلقيه فقال:-

أعدْ عليَّ ما قلتَ...

فتاب إلى الله عزَّ وجلَّ وبقِي طوال حياته حافيًا، فاشـــتهر بالحافي رضـــي الله تعالى عنه وعنكم.

فإذنْ أنْتَ في البلدٍ، فيه طاقات، فيه أشـــخاص، لو أنّك بصـــدق وإخلاص وبهذه الروحانية تتوجّه إليهم، لعلَّ الله عزَّ وجلَّ أنْ يُوجِدَ لنا حفاة الآن يســـيرون على الأرض، وبهم الله عزَّ وجلَّ ينزّل الغيث، وببركة توجههم الله جلّ وعلا يرفعُ البأساء عن النّاس، وهكذا.

فإذنْ البلد فيه طاقات، فيه إمكانات، الداعي يجب عليه أنْ يُجَدِّد البلد، يجدّد البلد، تعاونوا على تجديد البلد، الموطن الذي أنتم فيه، لا تقولوا فيه الشيخ فلان، شـــيخ العشـــيرة وهو متعجرف، ولا يمكن أنْ تكلّمه، وإلى آخره، لا على الأقل أعطه مكانته، فهذا شيخ عشيرة، ويجب أنْ ننزل النّاس منازلهم، يجب أنْ نفكِّر في كيفية الدخول إلى قلبه، سيأتي يوم من الأيام وتستطيع الدخول إلى قلبه.

كان عندي جار في حيِّ العدل شـــاب، عمره كان (15) ســـنة، بيته قريب من الجامع، أحيانًا الله يقدِّر سبحانه أنّي أذهب لأشتري خبزًا أو حاجة، وأراه فأسلّم عليه، وأقول له:-

يا بنيّ، يا فلان، لِمَ لا تأتي للجامع عندنا، يضحك ويبتسم فهو مؤدّب ولا أدري الآن أين صار، يقول لي: يا شيخ أنا لا أصلي، لستُ مقتنعًا، فمرّة، مرّتان، ثمّ تركته، أنا أيضًا في ذلك الوقت في بدايات جامع حيّ العدل ما كان عندي مُرَبٍّ، أعني المرشد، ما كنتُ سالكًا على أحد، فأنا لم أسلك إلّا على يد سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، ما تعدّدت عليَّ المراضع، وإنّما شـــرّفني الله جلّ جلاله بمرضـــع واحد، والحمد لله ربّ العالمين ســـبحانه

وتعالى لكن الحمد لله لستُ منكرًا، ولا مستكبرًا -نعوذ بالله تبارك وتعالى- على هذا المنهج المثمر، وإنّما ربّما كنتُ في بعض الأحيان متطلّعًا وباحثًا.

المهم: هذا الشاب عنده أخٌ أكبر منه سنة ونصف السنة، أو سنتين، وكلاهما ينامان في الحجرة نفسها، يقعدون الصبح ويذهبون للمدرسة لا أذكر كانا في المتوسطة، أم في الإعدادية، في يوم قام الشاب صباحًا ليوقظ أخاه... أخوه ميت، الله! ميت متخشّب، وصاح الأهل، فركضنا نحوهم: خيرًا؟ ماذا حدث؟ قالوا: حدث هذا، فاتصلوا على الإسعاف، وبدأوا بالإجراءات...

انظروا: الآن الولد مكسور، ضعيف، مُنْبَهِتْ، خائف، شاب ما زال صغيرًا، في هذا العصر نحن نقول صغير، في عصر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لا، رجل! فكان عندي وسيلة دعوة إلى الله عزَّ وجلَّ وهي استثمار مجالس العزاء، فكنْتُ في اليوم الثالث أذهب وآخذ مَنْ يبقى من المصلّين، ونذهب بعد صلاة العشاء، ونعمل ختمة وندعوا إلى الله جلّ في علاه، ونذكّر وموعظة، وإذا بالشابِّ في نهاية الجلسة يقول لي:-

أيمكن يا شيخ أنْ تبقى قليلًا؟ قلت له: نعم حبيبي، تتدلّل، كيف لا أبقى؟!

وذهب الناس، وبقيتُ معه، قال:-

حدِّثني، فوعظته وعظًا ليّنًا بسيطًا، واحتضنته مرّة أو مرّتين على صدري، فهنا تنفع الذكرى، بينما هناك في الشارع بقوَّته ونشاطه، ولا يوجد شيء يقلق حياته، لم يقع بمثل هذا الوضع؛ فانظر استثمار الأحوال، أيّها الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ استثمروا أحوال النّاس، المهمّ الشاب الحمد لله، الله تعالى هداه، والله يوفقه

يا ربّي، إنْ كان في الحياة الدنيا الله يوفقه لكلّ خير، وإنْ كان من أهل الآخرة الله عزّ وجلّ يرحمه ويرفع له درجته.

قلنا: إذا كان هناك شيخ عشيرة مسرف على نفسه فلا تضع عليه (×) هذا ما فيه بقعة خير! لا، استثمر بعض الأحوال التي تأتي عليه، كن دائمًا متطلّعًا مستمعًا، يعني اجعل البلد مضاء أمامك، تعرف ما فيه، مداخله ومخارجه، انتبه، لكن إيّاك أنْ تعدَّ نفسك أنّك أفضل من الموجودين، وأنّك أقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، إيّاك وإياك، فهذه مزلقة، وقد سمعت سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه يقول:-

يا بني! إنّي أعِظُ صاحب الكبيرة ولا أظنُّ أنّي خيرٌ منه.

فهذه لا نعرفها، هذه عند ربّ العالمين، نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا دائمًا خيّرين عنده، أبرارًا عنده، مقبولين عنده سبحانه.

إذنْ: البلد، استثمار الطاقات، والتفاعل مع البلد، المكان الذي أنْتَ فيه، جامعك لا بدَّ أنْ يكون من أفضل المحطّات التي يأوي إليها النّاس، من كلّ الجوانب، من الرّوحانية أوّلًا، التي هي الأصل، من الصدق والإخلاص والطهارة والنظافة والتألّق والحديقة، وهذه قلتها البارحة، واليوم أيضًا أؤكّد عليكم، هذه من ضمن الوصايا في إحياء رسالة المساجد، مسجدك قويّ بإذن الله تبارك اسمه، نوره ساطع، وَصِّلْ نور مسجدك إلى بقيّة المساجد في البلد، وهكذا، بعد ذلك نأتي إلى المحطة الأخيرة.

المحطة الخامسة: الأرض وما عليها: فرسالتنا عالمية والحمد لله، ورسولنا صلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم أرسل للعالم أجمع، فينبغي عليك أنْ تسْتثمِر كلَّ ما يُمكن استثماره، لإيصال هذا النّور، لطرد الظلمات أينَما كانت، عن طريق وسائل التواصل، أو أيّ شيء، صارت لك فرصة وسافرتَ، صارت لك مجموعة من الأصدقاء تواصل معهم بكلِّ صدق وإخلاص، بكلّ فقه، بكلِّ علم مبارك طيّب مختصر، لا تضيّع على النّاس أعمارهم بمشاكل عقديّة، ولا أدري ماذا، شرك وشركية وإلى آخره، ومسائل فقهية كثيرة جدًّا، لا، لا، فقط زبدة ممتازة مختصرة واضحة بيِّنة، ومن هنا مرَّة أخرى نؤكد ونقول:-

نحن ليس عندنا غير الكتاب الكريم والسنّة النبوية المشرَّفة، اقرأ عليهم القرآن الكريم:

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [سورة النبأ: 6 - 7]

واشرح لهم عن الجبال فيما عندك من ثقافة عامّة حول الجبال، طيّب: يا بني، يا أخي، يا أختي، يا بنتي، يا أمّي، ما رأيكم بهذا المخلوق، الجبل: انظروا هذا كيف صار، دغدغوا عقولهم، دغدغوا فِطَرهم، سيقولون الله -سبحانه وتعالى- طيّب: الله عزّ شأنه عندما مَنّ علينا بهذه النعم، ألَا نشكره؟ الآن لو أعطانا واحد مِسّاحة (ممحاة)، أو مقطّة (مبراة) أو قلمًا نقول له:- شكرًا جزيلًا، وربّما بعد عشر سنوات نراه فنقول:- هذا في يوم أعطاني مقطة بالصّف.

فكلّ هذه النّعم ألَا يستحق سبحانه أنْ نشكره؟ كيف لا يستحق؟ أين عقلك أيّها الإنسان؟ لكنّنا لا نقول له: أين عقلك؟! لئلَّا نستفزّه، وإنّما نقول له: إنْ شاء الله

عقلك نيّر مبارك، وأنتَ إنْ شـــاء الله ســـتســـتوعب هذه، وهناك مثل هذه الدّنيا المنظورة يوجد حياة غير منظورة، فيها جنّة، وفيها نار، وكذا، كذا، ونحاول أنْ نركّز على الرحمة:-

(يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا) الإمام البخاري عليه رحمة الباري جلّ وعلا.

(بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً) الإمام الطبراني رحمه الله عزّ شأنه.

(إنمَّا أَنا رَحْمَةً مُهْدَاةً) الإمام الحاكم رحمه الله جلّ جلاله.

صلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم.

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [سورة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم: 107].

وهكذا يكون الارتباط بين المنظومات الخمسة كلّها تصير منظومة واحدة: فرد، أسرة، مسجد، بلدك، الأرض وما عليها.

ولا يمكن أبدًا، أبدًا، أبدًا، أنْ تؤثّر من دون ارتباطك بالمؤثِّر ســـبحانه وتعالى، بالخالق المبدع المدبّر جلَّ جلاله وعمَّ نواله، ارتباطك وحضـــورك ذِكرًا وفِكرًا وشكرًا معه جلّ جلاله وهذا لا يكون إلّا حين تكون في معيّة:-

{الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّـهَدَاءِ وَالصَّـالِحِينَ} [سـورة النساء: 69]

وخادمكم عنده محاضـرة، وكنتُ أقول لكم فيها وأقول للمسـلمين: في كلّ ركعة نحن نقرأ الفاتحة، نقول:-

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [سورة الفاتحة: 6]

لكن يأبى الله عزَّ وجلَّ أنْ يجعل الصـراط المسـتقيم باسـتقامته فقط ينفع إنْ لم يتنوّر هذا الصراط المستقيم ويتعطّر وتكون فيه نكهة التقوى وحبّ المولى جلّ وعلا، إنْ لم يتشرّف بالصّالحين، فلذلك قال بعد ذلك:-

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ...} [سورة الفاتحة: 6-7]

لا تتركني وحدي على الصراط المستقيم، فوحدي أَتيه، وأنا أخاف، فاجعلني في معيَّتهم، اجعلني تحت أجنحتهم، تحت نظرهم:-

{... وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ...} [سورة الكهف: 28]

هذه كلّها مرتبطة بـ {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ...} وخير ما يفسّر القرآن هو القرآن، ففسَّره قول الرحمن جلّت صفاته:-

{... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ...} [سورة النساء: 69]

والمحاضرة موجودة إنْ شاء الله تعالى على الموقع المبارك.

فإذنْ أحبَّتي في الله تبارك اسمه، الخلاصة التي يمكن أنْ نخرج بها في كلّ هذه المحاضرات، محاضرات المشورة بقسميها، أنَّ هنالك خَطٌّا بيانيًّا في حياة المسلم الرّباني المؤمن الداعية، الداعي إلى الله تبارك وتعالى، خَطٌّ بيانيّ ينبغِيْ أنْ يُحافِظ عليه، وينبغي أنْ يُنمّى ويُستثمر، ألَا وهو الخط الرّوحاني، وهذا في كلّ المراحل رأيتموه، في المرحلة الأولى عندما ربّ العالمين حافظ على فطرة سيّدنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله و صحبه وسلّم، وبعد ذلك قوّاها جعل لها زيادات شَرْح الصّدر، حفاظًا عليها، وكذا إلى آخره، بعد الإعلان عن النبوّة،

قبل الإعلان عن النبوّة الخلوة؛ لأنّ هذه تزيد مَنسُوب هذا الخط البياني، سيتألّق أكثر، يتألّق ويتألّق ويتألّق، وقلتُ لكم في محاضرة سابقة هذا الخَطّ البياني يبقى معك متألّقًا مترقّيًا إنْ كنتَ صادقًا مخلصًا، حتّى في الجنّة، حتّى وأنتَ في الجنّة سيصعد هذا الخط البياني بما تركْتَ من آثار خلفك.

هذا الخط البياني يوازيه خطّ آخر في حضارة الإسلام، وهو الخطّ الجسماني، الخطّ الجسماني بالأحكام الشرعية، يجب أيضًا أنْ نحافظ عليه وننمّيه ونرقّيه، ولكنَّ هذا الخَطّ من صفته أنَّه يتردّد ابتلاءً واختبارًا، أنْتَ اليوم غنيّ، غدًا تصير فقيرًا، ورأينا أمامنا رجلًا عنده خمسة جيوش اليوم، ثانِي يومٍ صار طريدًا يركض من بيت إلى بيت، لا إله إلّا الله! انظروا هذا الخطّ المادّي الجسماني البياني، والله يرحم أموات المسلمين جميعًا متردّد، فهل تتعلّق به بحيثُ يؤثِرُ على الخط الرّوحاني؟ لا، إيّاك وإيّاك، احذر أنْ تترك الخطّ المادي الجسماني يؤثر على الخطّ الروحاني، مهما كان، الخط الروحاني لا ينبغي أنْ ينقطع في التوجّه إلى الله عزَّ وجلَّ، وخيرُ أنيس في العلوم مثال.

أذكر لكم مثالًا واضحًا جدًّا، الإنسان في الإسلام الصلاة عمود الدِّين، كلّ الأحكام الشرعيّة فيها فسحة ممكن أنّها لا تنطبق عليك، فواحد غير متزوّج فهو غير مطالب بأحكام الزّوجية؛ وآخر متزوّج وليس عنده ذرّيّة، فهو غير مطالبٍ بأحكام الذريّة؛ وآخر مسلم مؤمن يصلّي ويصوم، ولكن ليس عنده أموال، فغير مطالب بالزّكاة، غير مطالب بالحجّ، إلى آخره، إلّا الصلاة، لماذا الصلاة؟ لأنّ الصلاة تعدّ الرُّوح في الدِّين؛ لذلك ما فيها فسحة، إلّا اللّهم واحد قد فقدَ وعيه،

فما عليه صلاة، إذا مات لا حساب عليه، وإذا أفاق فهنالك أحكام شرعيّة تتعلّق بصلاته، ينبغي أنْ يراجعها، لا يقولُ:-

أنا كنت فاقدًا الوعي فلا أصلي، لا، اذهب، فهناك أقوال للفقهاء رضي الله تعالى عنهم، ما أستطيع أنْ أتوضأ! نعم على العين والرأس، تيمَّم، ما أستطيع أنْ أتيمَّم! نعم على العين والرأس، صلِّ بلا وضوء ولا تيمّم، ما أستطيع أقف للصلاة؟ على العَينِ والرأس، اجلسْ وصلِّ، حتّى جلوسًا ما أستطيع أنْ أصلّي، صلِّ وأنت متمدّد، يا جماعة ما أستطيع أنْ أحرّك رأسي نسأل الله تعالى العافية لجميع مرضى العالمين، تقول له:-

نعم، صلِّ بقلبك، لا تقل له:-

اترك الصلاة، أو: نعمْ يجوز لك أنْ تترك الصلاة.

انظروا هذا الخط الروحاني، ينبغي أنْ يبقى، انظر الجسمانية كلّها ذهبتْ، لا يستطيع أنْ يتوضأ، لا يستطيع أنْ يقف، لا يستطيع أنْ يجلس، لا يستطيع حتّى أنْ يحرِّك رأسه، ليومئ بالرّكوع والسجود، كلّها ذهبت، هذه كلّها ظواهر تبيّنُ الخطَّ البياني الجِسْمَاني.

فيُمْكِن أنْ يتردّد خفضًا ورَفْعًا، يمكن للخطّ الجسماني أنْ يَرتَفِعَ أو ينخفض، هذا ممكن، ولكن الخط الرّوحاني يجب أنْ يبقَى، يَجبُ أنْ يبقى، لا يموت، إذا مات فاحذر، أنْتَ في خطر عظيم جدًّا، قدْ تكون في عداد المنافقين -نعوذ بالله تبارك وتعالى- قدْ تَكوْن في عداد الكافرين عياذًا بالله عزّ وجلّ، لا بُدَّ أنْ تبقى متمسِّكًا بالخطّ البَيانِي الرُّوحاني، وتجاهد نفسَكَ لأجل أنْ ترفَع هذا الخطّ البياني يبقى

دائِمًا مرتفعًا، دائمًا مرتفعًا، إذا توقَّف راجع نفسك، انظر ما أسباب التوقّف، لكنْ لا تجعلوه يتراجَع، إذا تراجع ادخل إنذار (جيم) كما يقول العسكر، وإنذار (جيم مشدّد) ليس فقط إنذار (جيم) لأنّي دخلت العسكرية، فعندنا إنذار (جيم مشدّد) أمَّا إذا لا قدّر الله تعالى أنت تريد أنْ تقضي على هذا الخطّ الروحاني، وبذرته، فهذا حال الكافرين والمنافقين:-

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [سورة المنافقون: 3].

إذنْ هذه هي الخلاصة التي نخرج بها من كلّ هذه المحاضرة: أنّ لديك خطّين: الرّوحاني والجسماني، ما أحلاها، ما أجملها، إنْ تعانقتْ هذه الخطوط وتعاقدت وتعاونت في نشر الخير:-

(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ وعلا.

في الخطّ الرّوحاني قويّ، وفي الخطّ الجسماني قويّ، ومن هنا أدعو كلَّ المسلمين أنْ يعتنوا بدنياهم، واستثمار أموالهم، وأن لا يكونوا هكذا فقراء محتاجين أذلّاء، بعضهم -حاشاكم- يمدُّ يدَه لِمَا لا قيْمة له، لا، دائمًا هكذا، لكن إذا الخطّ الجسماني تأثّر فاعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ أراد لك الخير إنْ ثبَّتك في الخطّ الرّوحاني، أمَّا إذا الخَطّ الرّوحاني تأرجح بسبب تأرجح الخط الجسماني، لا، لا، فهنا يجب عليك أنْ تنتبه، فلو أنَّ أحدًا هُجِّر من بلده، وذهب فأصابته الكآبة، وترك كلّ شيء، وخسر الخسران المبين -نعوذ بالله تبارك وتعالى- أو أنّه قال:-

الحمد لله والشّكر، ماذا بها؟ سيّدنا آدم هُجّر من الجنّة للأرض، الأنبياء هُجّروا، الهجرة سُنّة كونيّة، الطيور تهاجر، المياه تهاجر، الهواء يهاجر، كلّ شيء

يهاجر، وأخذ الأمور بكلّ سلاسة، ونظر إلى أنَّ أمر المؤمن طالما أنَّ خطَّه الرَّوحاني في علوٍّ وارتقاء، فهو على خير، فكلّ أموره له خير، قل الحمد لله والشكر، هذا خير، مرضت؟ المهم أنَّ الخطَّ الرّوحاني لا يتأثّر، اشكر الله عزَّ وجلَّ قل الحمد لله، المرض جيّد للإنسان، وإنْ أُمرنا أنْ نسأل الله العافية، لكن المَرضَ يذكّرُنا أنّنا ضِعاف، ليس كما كنا نحسب أنّ أنفسنا أقوياء وأشدّاء، ونتعالى على النّاس، أو نتجاوز حتى على ربِّ النّاس -عياذًا بالله تبارك وتعالى- لا، وإنّما يقول: هذا خير، ربُّ العالمين قَرَصَ آذاننا -إذا صحَّ التعبير- حتّى ننتبه، فهذا خير، هذا خير، عندي ذنوب كثيرة؛ أمّا أنْ يقول: أنا ما عندي ذنوب! كيف ما عندك ذنوب؟ كلّنا يا إخوتي، بأيّ شكل من الأشكال كلٌّ حسب حاله، ونسأل الله العفو والعافية، فهذه تخفِّف من ذنوبنا، وإنْ شاء الله تمحوها، تحرقها حرقًا، يا الله! ما أعظمه من خير!

طيّب: احترقت الذنوب، وبقي المرض، إنْ شاء الله يا ربّي نتأمل أنّ هذه الذنوب احترقت، ونحن نتفاءل بفضلك وعفوك ورحمتك، فالآن بدأتْ تُرقّي لنا الدرجات، ما شاء الله، الحمد لله والشكر، ربّما صارت عندك قناعة أنّك ما شاء الله درجاتك عالية، وصارت عالية، وخير وبركة، طيّب وما زال البلاء، لا، هنا الله سبحانه، إذنْ اختارني لئنْ أكون قدوة، فالبلاء هذا ليس فقط لتكفير الذنوب، ولا لتكثير الحسنات فقط، وإنّما الله عزَّ وجلَّ أرادك أنْ تكون في مقام القدوات، يا سلام انظروا أين رقَّاك.

فإذنْ أمر المؤمن كلّه له خير، انظروا أمرُ مَنْ؟ المؤمن، المؤمن، ماذا يعني؟ يعني أنّ الخط الروحاني عنده مستقر، بلْ متألّق، وهذا له أسبابه، وما يدعو إليه

خادمكم ومشـــايخنا رضـــي الله تعالى عنهم من الحفاظ على التزكية النبويّة، والعمل الروحي الإسلامي.

هذا ما أردتُّ أنْ أختِم به هذه المحاضرات؛ بقي عندي رجاء من نقاط:-

أوّلًا:- سامحوا خادمكم إنْ علا صوته، أو قال شيئًا لا يرضي أحدًا من خلق الله تبارك اسمه، فإنّي عبدٌ مسكين ضعيف خطّاء، أسأل الله عزَّ وجلَّ أنْ يرحمني ويغفر لي.

ثانيًا:- نتذكّر أنّ كلّ شـــيء له بداية وله نهاية، وأنّنا بدأنا منذ أســـابيع بهذه المشـــورة المباركة، والآن جئنا إلى النهاية، إذن كلّ شـــيء ينتهي يا بنيَّ، كلّ شيء ينتهي يا سعد الله، هذا عمرك الآن متمتع به سيأتي يوم تصل إلى المرحلة الأخيرة، إلى الخطوة الأخيرة، فلنجعل من كلّ نهاية محطّة ذكرَى لبداية متألّقة مشرقة، إنْ شاء الله تعالى، فنحن اليوم نختم، ولكن نتألّق في صفحة أخرى، في مجال آخر، التي هي صفحة التطبيق، امشوا وطبّقوا هذا الذي سمعتموه، امشِ يا سعد الله وطبّق، قدوتك رسول الله صلَّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، انظر إليه وسِرْ معه وخلفه، وتشرّف بصحبته واقتفاء أثره صلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

الرجاء الثالث:- أحيوا هذه القيم في نفوسكم أوّلًا، ففاقد الشـيء لا يعطيه، رجاء يا سعد الله أنت لا تستطيع أنْ تجعل النّاس يحبّونك ويَعفون عنك وعن أخطائك وسهوك وزللك إذا أنتَ لا تغفر لهم، إذا أنتَ لا تحبّهم، إذا أنت لا تسامحهم، إذا أنت لا تجزيهم على السيئة بالحسنة، عندما تجزيهم بالسيئة حسنة، فالحسنة

تمحو السيئة، فالتطبيق التطبيق يا أبنائي، وطبعًا خادمكم معكم بإذن الله تبارك وتعالى، ابحثوا عن السالكين والسالكات، لا تقل لي:-

البصرة الآن كيف أصلها، لا، عندنا سالكون وسالكات في البصرة، لم يصلهم أحد، لم يسأل عنهم أحد، أين أنتم منهم؟ وبأماكن أخرى، وأماكن أخرى، فالتطبيق، الأصل هو التطبيق بكلِّ شكل من الأشكال، التزمْ بالرَّوحانية وضحِّ بالجسمانية ابتغاءَ رضوان ربِّ البريّة سبحانه وتعالى، تنلْ كلَّ خير، وتُعطى كلّ ثمرة ناضجة جليَّة.

فأسأل الله عزَّ وجلَّ أنْ يجعَل هذه اللقاءات بذرَة طيِّبة لتجديد حال أمَّة سيّد السادات صلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم بجاهه عند ربِّ الأرض والسماوات جلَّ جلاله وعمَّ نواله.

وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وأخصّ السالكين والسالكات.

سبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرُكَ وأتوب إليك، سبحان ربّك ربِّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

قبل التوديع أرجو من الجميع مَنْ عنده استفسار أنْ يبعث استفساره إلى الموقع الكريم، فإنْ وجدته صالحًا للنشر أنشره، وإنْ وجدته أمرًا خاصًّا أجبتُه بخصوصيته، لماذا إلى الموقع الكريم؟ لأمرين:-

الأوّل: أريد ارتباطكم بالموقع الكريم، لأنّ خادمكم يريد أنْ يكوّن منظومة متكاملة تستفيدون منها، ليس دائمًا تستطيع أنْ تتصل بي، أو ترسل لي رسالة

وأنا دائمًا أستطيع أنْ أجيبك، الموقع موجود، وربَّما السؤال الذي تسأل عنه موجود في الموقع، اذهب واقرأه، هذا أوّلًا: ارتباطكم بالموقع الكريم.

ثانيًا: السؤال عندما تبعثه إلى الموقع الكريم وخادمكم يجيب عليه النّاس سيستفيدون من هذا الجواب وهذا السؤال، فيكون لك الأجر، بينما أنْ تَحمل الهاتف وتتصل على خادمكم فتسأله سؤالا فيجيبك، ذهب في الفضاء السؤال والجواب، أهل الفضاء ليسوا محتاجين لعلمنا، ما شاء الله عليهم! لكن حينما تبعث إلى الموقع السؤال، والجواب موجود على الموقع، المسلمون والمسلمات، بل عباد الله تبارك وتعالى أجمعين يستفيدون منه، ودائمًا دعاؤكم للموقع بأنّ الله عزَّ وجلَّ يجعله أهمّ شيء:-

أوّلًا: خالصًا لوجهه الكريم.

ثانيًا: أنْ يهيئ الأسباب لنشره وإدخاله في بيوت العالمين:-

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: 107].

اللهمّ صلِّ وسلّم وبارك على حضرة خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين، سيّدنا وحبيبنا محمَّد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين، وأستودعكم الله العظيم الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.